بسم الله الرحمن الرحيم

دين الإسلام دينُ عزَّةٍ وتمكينٍ، وأمنٍ وقوةٍ، وأُلفةٍ واجتماعٍ، وقد كان الناس في غيره من الأديان في تفرق وشتات، وكانت العرب قبله في ذلَّة وصَغار، وجاهلية عمياء.

فالله ألقى الرُّعب في قلوب الَّذين كفروا، وأذلَّهم، كما قال تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[آل عمران:١٥١].

وأخبر الله تعالى عن حال يهود بني النَّضر وما حلَّ عليهم من الهوان فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ ۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾[الحشر:٢].

ثم أخبر تعالى عن خوفهم وتشتتهم وضعفهم فقال: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الحشر:١٦].

وأخبر تعالى عن عداوة اليهود والنَّصارى لبعضهم

البعض، وانتشار البغضاء فيما بينهم، فقال: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[المائدة:٦٤].

وقال في النَّصارى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾[المائدة:١٤].

وقد أخبر النَّبيُّ ﷺ عن ذُلِّ من خالف أمرَه وصغارِه، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « وَجُعِلَ الذُّلُّ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»[1].

وأمَّا أهلُ الإسلام فوعدهم الله بالعزَّة والتَّمكين، والاستخلاف، والاجتماع والقوة، إذا تمسكوا بدينهم، كما قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ﴾[النور:٥٥]، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ

(١) رواه أحمد في مسنده (٥١١٥).

وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [المنافقون:٨].

وبيّن النبيّ ﷺ أن أهل الإسلام متماسكين كالبنيان، بسبب ما عندهم من إيمان، فعَنْ أَبِي مُوسَى عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ »(٢).

فتأملْ حال الأمم بلا إسلام كيف كانت في جاهلية وشر، وتفرُّق وشتات، وعداوة وبغضاء، وانظر إلى حال العرب قبل الإسلام كيف أصابهم الذُّلُّ والهوان حتى لم تكن لهم قيمة بين الأنام، فلمَّا أرسل الله تعالى سيد الأنام ﷺ ودخل منهم من دخل في الإسلام من الصحابة الكرام رضي الله عنهم، رفع الله ذكرهم، ومكَّن لهم في الأرض، وجمع كلمتهم، وألقى المهابة في قلوب عدوهم، فلا عزَّة لنا ولا تمكين، ولا قوة لنا ولا ترابط إلا بالتَّمسك بدين الإسلام، وقد صدق الفاروق عمر رضي الله عنه حين قال: «إنَّا قوم أعزَّنا الله بالإسلام، فلن نبتغي العزَّ بغيره »(٣).

(٢) رواه البخاري (٤٨١).
(٣) مصنف ابن أبي شيبة (٣٣٨٤٧).

الإسلام

دين تمكين وعزة وكرامة

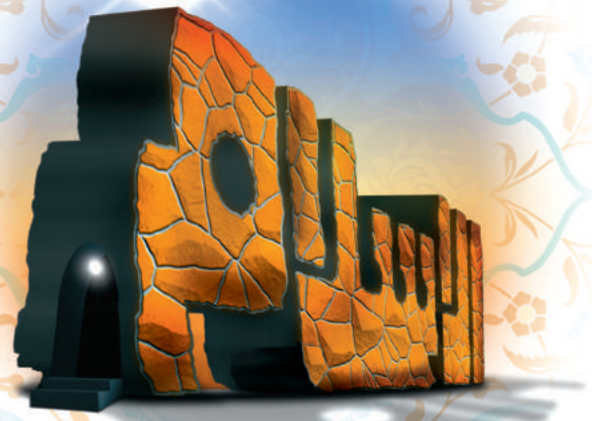

الشيخ
د. أحمد بن مبارك بن فندان المزروعي

@BaynootnanetUAE @Baynoonanet
www.baynoona.net